

رموز الصعود في طقس قداس كنيسة المشرق

القس شموئيل القس شمعون شموئيل

المقدمة

تعبر كنيسة المشرق عن جوهر إيمانها وفكرها العقائدي من خلال حياتها الليتورجية¹ والأسرارية والتي تتجلى بصورة واضحة في كتبها الطقسية والتي تقوم بواجب إشراك أبنائها في الفة روحية واعية وعميقة مع الله.

لقد صاغت كنيسة المشرق قداسها الاحتفالي وطورته على مدى القرون التسع الأولى،² بإرشاد من الروح القدس، وأولته اهتماماً بالغاً ليكون معاشاً، تطبيقاً لكلام المسيح في العشاء الأخير، الذي قال " اصنعوا هذا لذكري".³

يعتبر قداس الرسولين، مار أدي ومار ماري، من أقدم النوافير المشرقية وأغناها لاهوتياً، حيث يرجع أصله إلى القرن الثالث الميلادي، إلى مدينة الرها،⁴ حيث يدعو إلى النمو الروحي التدريجي لما يوحيه من قيم فكرية ولاهوتية تتم على مرأى من الحاضرين في القداس من خلال حركات ورموز، تقوم الكنيسة بجعل جوانب هذه الأسرار،⁵ معلنة وملموسة، والأمر ذاته يتم التركيز عليه من خلال قداسي مار ثيادوروس ومار نسطوروس.

يقسم قداس الرسولين، مار أدي ومار ماري، إلى خمسة أقسام:

1. رتبة إعداد التقادم، الخبز والخمر.

2. رتبة كلام الله.

3. رتبة التقديس.

4. رتبة الكسر والمزج.

5. رتبة تناول.

وسنحاول في هذا المقال، ولمناسبة عيد الصعود، التطرق إلى الرموز الخاصة بالصعود في هذه الرتب، والتطرق إلى معانيها الخاصة لفهم العلاقة بين الاكليروس، المؤمنين مع الله في

¹ الليتورجيا، كلمة يونانية تعني "عمل عام" تدل في العرف الكنسي على مجموعة الرموز والكلمات والحركات التي تعبر بها الكنيسة، بالاتحاد مع المسيح رأسها، عن العبادة الواجبة لله. اسحق، جاك (المطران)، القداس الكلداني، دراسة طقسية تحليلية، بغداد 1982، ص25.

² اسحق، جاك (المطران)، القداس الكلداني، دراسة طقسية تحليلية، بغداد 1982، ص 116.

³ (لو 22: 19).

⁴ المخلصي، منصور (الاب)، النوافير المشرقية، منشورات مركز الدراسات المشرقية / 20، بغداد، 2018، ص5.

⁵ كلمة آرامية تشير إلى رتبتي كلام الله ورتبة التقديس، كما تعني التقادم قبل أو بعد تقديسها. اسحق، جاك (المطران)، القداس الكلداني، دراسة طقسية تحليلية، بغداد 1982، ص27.

القداس، ففي كل قداس ليتورجي، يتم الاحتفال بحياة المسيح، بشارته، آلامه، موته، قيامته وصعوده.

سنحاول في هذه المقالة استعراض جوانب الصعود في قداس كنيسة المشرق، للتأمل بها.

أولاً: الصعود في ريادة كنيسة المشرق

الصلاة باتجاه الشرق هي من ضمن تقليد كنائس المشرق من بدء المسيحية لكونها تعبر عن ميزة الحصيلة المسيحية التي تدمج الكون والتاريخ، الماضي والعالم العتيد في الاحتفال بسر الخلاص، لأنها تعبر عن امانتنا نحو الهبة التي تلقيناها في التجسد،⁶ فحملت هذه الصفة لا لسبب تأسيسها خارج العالم الغربي، بل لان اتجاه الكنائس في معظمها يكون باتجاه الشرق، ككنيسة المشرق الآشورية، الكنيسة الشرقية القديمة، الكنائس الارثوذكسية الشرقية والمشرقية والكنائس الكاثوليكية الشرقية.

وهذه الحقيقة مستمدة من ايمان الكنائس بالجهة التي صعد منها المسيح الى السماء، وبالبعد الاسكاتولوجي بعودة المسيح في مجيئه الثاني من الشرق، ففي يوم صعود المسيح الى السماء، كان وجه مخلصنا نحو الغرب، بينما التلاميذ كانوا شاخصين اليه نحو الشرق، وهذا يفسر وضع الصليب في هيكل الكنيسة، خلف المذبح، ووجهه باتجاه الغرب "المصلين"، حيث تعبر الكنيسة في ذلك، عن حقيقتي الصعود والمجيء الثاني وكتعبير عن أمل، انتظار، امانة ورجاء الكنيسة نحو مخلصها، وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق، إذا رجلا ن قد وقفا بهم بلباس أبيض، وقالوا: "أيها الرجال الجليلين، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء".⁷

وتعبر كنيسة المشرق الآشورية عن هذه الحقيقة من خلال وضع خشبة الصليب في الهيكل ويكون خالي من المصلوب، حيث تدرك الكنيسة ان صعود المسيح الى السماء ليس فراقاً وابتعاداً عنها مكانياً او زمانياً بل هو اختفاء جسدي يقابله حضور ايماني روحي في الطقوس والاسرار التي تقوم بها.

⁶ ابونا، البير (الأب). سر الليتورجيا، الكاردينال جوزيف راتسنجر. أبريل 2016. ص65.

⁷ (أع 1: 11).

ثانياً: الصعود في رتبة تقديس التقداس

في رتبة التقديس، وقبل استدعاء الروح القدس لتحل على القرايين، يقوم الكاهن برسم الصليب على الترونوس "العرش"، من تحت الى الأعلى ومن اليمين الى اليسار وهو منحني، بين الكأس والصينية ليشير ذلك ان القداس مستمر من الامس واليوم والى الابد، من العهد القديم والى الجديد.

وتشير هذه الى فصل الجسد عن الدم وان الذبيحة بدأت من إنسانية يسوع المسيح، الى الأب، من تحت الى فوق حيث ترمز الى اشتراكنا مع ذبيحة يسوع المسيح من تحت انسانيتنا الى العرش السماوي وصعودنا مع المسيح.⁸

ثالثاً: الصعود في قراءات التي كانت تجرى على البيم⁹

في ريادة كنيسة المشرق التي صممت ان يكون البيم فيها في منتصفها لتشير الى اورشليم، كانت القراءات تجرى هناك ومن ضمنها قراءة الانجيل من قبل الاسقف او الكاهن، حيث كان يخرج الكاهن من بيت دياقون¹⁰ والشمامسة الرسائليين يقفون على الشقاقون¹¹ ولا يسمح لهم بالصعود، وهم يمسكون الكتب من الجانبين ويهتمون بالمباخر.

اخراج الانجيل من القنكي¹²، يرمز الى خروج ربنا يسوع المسيح من السماء الى اورشليم، وانتهاء الكاهن من القراءة وعودته من البيم الى القنكي، يشير الى آلامه، وقبل دخوله يقف المشرفون على الطقس عند الباب ويدخل فقط حاملوا الصليب وهو شماس، والانجيل الذي يحمله الاركدياقون، فكان الشمامسة يوصلون الاسقف "الذي يمثل المسيح" الى القنكي ويمكنون هناك ولا يدخل البعض منهم، اشارة الى صعود المسيح الى السماء "القنكي" والى ان الشمامسة الواقفون، يمثلون تلاميذ المسيح الذين يمكنون خارجاً وهو ينظرون الى صعود

⁸ منصور، فريد عبد الاحد، لاهوت القداس (13)، محاضرات الاب ابراهيم حداد، موقع عينكاوة 20/06/2009.
⁹ البيم موضع مرتفع قليلاً عن مستوى أرضية الكنيسة ويقع في منتصف الهيكل، يجلس عليه الاكليروس خلال القداس واثناء الصلوات الطقسية الأخرى. اسحق، جاك (المطران)، القداس الكلداني، دراسة طقسية تحليلية، بغداد 1982، ص23.
¹⁰ غرفة صغيرة عن شمال قدس الاقداس، يعد فيها الخبز والخمر للقداس. اسحق، جاك (المطران)، القداس الكلداني، دراسة طقسية تحليلية، بغداد 1982، ص24.
¹¹ ممشى صغير يربط قدس الاقداس بالبيم، يسير عليه الاكليروس خلال الطواف من قدس الاقداس الى البيم ام من البيم الى قدس الاقداس.
اسحق، جاك (المطران)، القداس الكلداني، دراسة طقسية تحليلية، بغداد 1982، ص27.
¹² الجزء الامامي من الكنيسة يحتوي على المذبح وعلى الخزنة وتجرى فيه رتبة التقديس. اسحق، جاك (المطران)، القداس الكلداني، دراسة طقسية تحليلية، بغداد 1982، ص26.

**المسيح الى السماء "كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق"13 الى ان يباركهم الاسقف
المدير عوض ربنا.14**

رابعاً: الصعود صيغة أساسية في قانون الايمان

تؤمن كل الكنائس المسيحية بقانون الايمان او العقيدة النيقية وتقره في طقوسها، حيث يجدد فيها المؤمنين وفي قداس كنيسة المشرق، وقبل بدء تقديس التقدّم، الصيغ الايمانية الأساسية الواردة فيها، ومنها:

الايمان بالوحدانية والتثليث.

الايمان بالتجسد والفداء.

الايمان بالمعمودية الواحدة الغافرة للخطايا.

الايمان بالقيامة من بين الأموات، الصعود، والمجيء الثاني للمسيح ومن ثم الدينونة.

الايمان بالكنيسة الواحدة الجامعة.

وترى كنيسة المشرق، ان كل من لا يؤمن باستقامة، بالتالوث المقدس وبالتدبير الذي أنجزه المسيح، يكون غريباً ومحروماً من التنعم مع ربنا المسيح.15

ويلاحظ ان كلمة "صعد" في قانون الايمان تشير الى صعود المسيح بالجسد الى السماء مع الايمان الكامل بان الله موجود في كل مكان وان المقصود من هذا الصعود، حمل يسوع المسيح للجسد الى السماء.

خامساً: الصعود في ترتيب الاسرار

ترتيبة الاسرار هي لحن استهلالي لرتبة الذبيحة الالهية يرافق رتبة نقل الخبز والخمر من خزنة بيت الكنز وتقدمتها على المذبح.16

13 (اع 1: 10)

14 أبونا، البير (الأب)، شرح الرتب الكنسية لمؤلف مجهول، المقالة الرابعة، أربيل عينكاوة، 2017، ص55-60.

15 اسحق، جاك (المطران)، شرح قداس كنيسة المشرق الكلدانية – الأثرية وضعه الربان جبرائيل بن ليفي القطري. منشورات دار نجم

المشرق بغداد 2012، ص 47

16 كانت ترتيب الاسرار ترافق رتبة غسل الايدي ورتبة التقدمة والطواف من البيم الى باب قداس الاقداس لتلاوة قانون الايمان واضيف اليها

ترتيبة "جسد المسيح..." لكي يكون وقت عمل هذه الرتب كافياً. اسحق، جاك (المطران)، القداس الكلداني، دراسة طقسية تحليلية، بغداد

1982، ص 131.

سادساً: الصعود في بركة الكاهن الختامية

في ختام قداس كنيسة المشرق، يقف الكاهن في الجهة اليمنى من باب قدس الاقداس ويتلو البركة الختامية التي يعدد بها الثمار الروحية التي اجتناها المؤمنون من ذبيحة القداس وهي غفران الخطايا، والقوة ليتمكنوا من إرضاء الله بأقوالهم وأفكارهم وأعمالهم ويسيروا في درب القداسة بكل عزم وثبات، واخيراً الرجاء الوطيد بالقيامة المجيدة.²²

بركة الكاهن الختامية يشبهها الملفان نرساي ومفسرون آخرون ببركة يسوع المسيح لتلاميذه قبل صعوده الى السماء**،²³ فهي تذكير بالبركة التي بارك بها ربنا رسله حينما صعد الى السماء كما قال لوقا " وفيما هو يباركهم، انفرد عنهم وأصعد إلى السماء."²⁴**

ان البركات ايضاً التي يبارك بها الكاهن الشعب وهو قائم على درجة باب قدس الاقداس، هي رمز لحلول نعمة الروح القدس على الرسل بعدما صعد ربنا الى السماء، كما قال هو نفسه " لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم."²⁵

وقبل اغلاق ستار الهيكل، في المرة الأخيرة في قداس كنيسة المشرق، يدخل الكاهن الى المذبح بعد ختام البركة الختامية، **يرمز ذلك الى صعود المسيح الى السماء " ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم، انفرد عنهم وأصعد إلى السماء."**²⁶

²² اسحق، جاك (المطران)، القداس الكلداني، دراسة طقسية تحليلية، بغداد 1982، ص 206.

²³ منكنا، مقالات نرساي الشعرية، الجزء الأول ص 296-298.

²⁴ (لو 23: 51).

²⁵ اسحق، جاك (المطران)، شرح قداس كنيسة المشرق الكلدانية – الأثرية وضعه الربان جبرائيل بن ليفي القطري. منشورات دار نجم

المشرق بغداد 2012، ص 56.

²⁶ (لو 24: 50 – 51).